((ساطع الحصري))

ولادته - ٥ / أغسطس / ١٨٧٩م .. ١٧ / شعبان / ١٢٩٦هـ .

وفاته - ٢٣ / ديسمبر / ١٩٦٨م .. ٤ / شوال / ١٣٨٨هـ .

جنسيته - سوري .

عمله - كاتب ومفكر قومي .

لقبه - أبو خلدون .

- أبو خلدون ساطع الحصري مفكر سوري / عراقي وأحد مؤسسي الفكر القومي العربي ، وهو أحد الدعاة والمصلحين القوميين الذين زخر بهم المشرق العربي ممن تبنوا الدعوة إلى القومية العربية أمثال عبد الرحمن الكواكبي وشكيب أرسلان في أواخر القرن التاسع عشر ، وزكي الأرسوزي ومحمد عزة دروزة في أوائل القرن العشرين .

١- وليد الأعظمي ، أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران ، مكتبة الرقيم ، (بغداد ، ٢٠٠١) ، ص ٢٠١٠ .

ساطع الحصري .. ولادته :-

إسمه (ساطع بن محمد بن هلال الحصري) ولد في صنعاء في اليمن في ١٧ شعبان ١٢٩٦هـ ١٥ آب ١٨٧٩م .[١]

كما يذكر أنه ولد عام ١٨٨٠م في اليمن حيث كان والده (محمد بن هلال الحصري) رئيس لمحكمة الإستئناف الجنائية هناك .

ورغم ولادة الحصري في اليمن إلا أن عائلته سورية الأصل .

لم يكد يبلغ عمر ساطع ثلاث عشر سنة حتى بعثه والده إلى الإستانة للدراسة في المدرسة الملكية ، وكانت المدرسة الملكية مؤسسة مدنية وعلمانية في جوهرها ، ومخصصة للتدريب على الخدمة في الإدارة العثمانية ، حيث كانت عاصمة الدولة العثمانية آنذاك تعج بالأفكار العلمانية ، بفعل النفوذ العربي وتغلغل يهود الدونمة آنذاك .

وبعد تخرجه أرسل الحصري إلى العمل كمدرس في الأقاليم الأوربية للدولة العثمانية .[٢]

١- وليد الأعظمي ، أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران ، مكتبة الرقيم ، (بغداد - ٢٠٠١م) ، ص ٢١١ .

٢- وليم كليفلاند ، الحصري من المفكرة العثمانية إلى العروبة ، ص ١٣٣.

نشاطه السياسي :-

إلتحق ساطع بوزارة المعارف ، حيث عين مدرس للعلوم الطبيعية في مدرسة ثانوية في ولاية (يانية) قرب الحدود القائمة الآن بين اليونان وألبانيا ، ومكث في البلقان ثمان سنوات أثرت في فكره تأثيراً بالغاً ، ونمى وعيه السياسي والقومي ، وبدأ هنا أول كتاباته في التعليم وتطوير أساليبه ، وأنتقد الوسائل المعتمدة في النظام العثماني وأشاد إلى أهمية الإصلاحات التعليمية .

وفي عام ١٩٠٥م ترك الحصري مهنة التعليم وتسلم منصب قائمقام في ولاية (قوص أوه) - كوسوفا ، وهناك سعى من أجل الإصلاحات لكن الوالي واجهه بالسكوت ، وبعد سنة تم نقل ساطع إلى قضاء فلورينا في ولاية المنشير ، وهناك إحتك بنشاط مجموعات المتمردين اليونانيين والبلغاء القوميين فتأثر بها ، وتعلم أهمية اللغة القومية وكان هناك نشاط ضباط جيش (تركيا الفتاة) ولجنة الإتحاد والترقي الذين أتصل بهم وتعاطف معهم .

ولما نشبت الثورة وأعلن الدستور عام ١٩٠٨م ، إستدعته اللجنة إلى المنشير مركز الولاية وأناطت به مهمة إستقبال الوفود التي وفدت للإعراب عن تأييدها للدستور وكان يخطب بهم ويشيد بقادة الجيش ، مركزاً على أهمية خدمة مصالح السلطنة العثمانية .[1]

١- نجاح عطا الطائي : الفكر القومي ؛ إسلامياً وتاريخياً ، طهران ، ١٩٨٦م .

تولى في دمشق منصب وزير التعليم وعمل على وضع مناهج التعليم العربية وكانت له علاقات مع كبار المثقفين والعلماء في سوريا إلى أن خلع الملك فيصل عام ١٩٢٠م ، في هذه الفترة أبعد ساطع الحصري بعض علماء الدين عن التدريس فكان منهم الشيخ أبو السعود بن ضيف الله مراد ، فغضب الشيخ أبو السعود غضباً شديداً وهجاه ببيتين من الشعر قائلاً :-

ساطع أظلم لما　　وسد الأمر إليه

خسف الدين بجهل　　لعنة الله عليه

وعندما وقع البيتان بيد ساطع غرق بالضحك ، وأحتفظ بهما وضل يرددهما على مسامع رواده وأصدقائه ، ثم ولي الملك فيصل على العراق ، وجاء معه ساطع وعينهم معاوناً لوزير المعارف ، ثم مديراً للآثار ، ثم تولى إدارة دار المعلمين المالية في بغداد ، كان الحصري علمانياً فلم يبدي إهتماماً في دروس الدين في المناهج المدرسية بل جعل درس الدين لا قيمة له ، وكتابه القراءة الخلدونية للصف الأول الإبتدائي لا نجد فيه كلمات عن (الله ، الرسول ، كعبة ، صلاة ، قرآن ، قبلة) وغير ذلك من الألفاظ الإسلامية .

وفي سنة ١٩٢٣م إحتج المعلمون في بغداد على سلوك الحصري ، وقدموا مذكرة للملك فيصل ، ثم نشروا كراساً بعنوان ((سر تأخر المعارف)) ولكن الملك كان يلزم وزارة المعارف بأوامر الحصري .

ثم إشتدت الخصومة بين الحصري وفهمي المدرسي ، وقد وقف الحصري ضد جامعة آل البيت ، وكتب فهمي عدة مقالات حول مسألة الجامعة ، ولكن بقي الحصري مسؤولاً عن التعليم في العراق ، وعلى تطوير مناهج التعليم ، وضل يدعوا إلى فكرة القومية العربية إلى أن قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١م .

وإثر قيام ثورة رشيد عالي الكيلاني ، قام الإنكليز بنفي ساطع إلى حلب ، فتسلل منها إلى بيروت ، حتى عاد مرة أخرى إلى دمشق عام ١٩٤٤م ، حيث قامت الحكومة السورية المستقلة بتكليفه للعمل كمستشار لصياغة النظام التربوي والتعليمي في البلاد العربية ، وأهتم بالفكر القومي وتطوير مناهج التعليم ، ثم عين مديراً لمعهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة عام ١٩٥٣م .[١]

قضى ساطع الحصري أربعين عاماً في خدمة الدولة العثمانية ، وحاول الحصري إحاطة هذه الفترة بالغموض والكتمان ، حيث عاش في إسطنبول وباريس الأربعين عاماً الأولى من حياته ، وكان من أبرز المدافعين عن الفكرة العثمانية ضد الأفكار الداعية إلى إجراء إصلاحات في الدولة العثمانية على ضوء تقسيم الشعوب قومياً ، ولم يكن ذلك على أساس ديني ، لأنه ضل في جميع مراحل حياته بعيداً عن الإسلام ، ولم يكن قومياً عربياً في الفترة الأولى من حياته ، وعندما قام الحاكم التركي في سوريا (جمال الدين) إعدام القوميين العرب أمثال (عبد الغني العريسي) و (عبد الكريم خليل) الذي كان صديق ساطع ، نرى أن ساطع لم يحرك ساكناً تجاه ما حصل .

١- وليد الأعظمي ، أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران ، مكتبة الرقيم (بغداد ، ٢٠٠١م) ، ص ٢١١ .

وأيضاً كان من جماعة الأتراك الشباب (تركيا الفتاة) التي كانت تطالب بعصرنة الدولة العثمانية ، كذلك لم يكن ممن ساهموا في حركة دعاة الدستورية والحرية . [١]

وبعد سقوط الدولة العربية بعد معركة ميسلون ، عاد الحصري إلى إسطنبول ثم سافر إلى إيطاليا ، بعد ذلك ذهب إلى القاهرة بحثاً عن عمل للتدريس ، وهنا سمع من الإنكليز أن هناك مخطط لتأسيس مملكة في العراق على رأسها فيصل بن الحسين فراح يبحث عن أحوال العراق ، وإلتقى بالشاعر العراقي (عبد المحسن الكاظمي) الذي كان مقيماً في القاهرة آنذاك ، وكل ما إهتم به الحصري في العراق وجود طائفة شيعية هي الأكبر في البلاد من حيث العدد ، وأيضاً إنها مضطهدة من قبل الحكومة ، وأخيراً قرر الإنضمام إلى جماعة فيصل . [٢]

وصل الحصري إلى بغداد في ١٩٢١م ، ويذكر (حسن العلوي) إن الحصري خلال وجوده في العراق لم يقم علاقة مع أي عراقي خلال عشرون عاماً من محل إقامته في العراق ، ولم يذكر العراق بخير ، ولكنه تحدث عن العجم كثيراً ، وكثرة العداوات والمؤامرات على شخصه وتلخصت هذه الفترة من حياته بوجوده مع الإنكليز ، وإقامة أواصر الصداقة معهم ، ومثال ذلك صداقته مع أشخاص إنكليز أمثال (كورونواليس) (غاربيت) (المس بيل) ومع (سميث) وغيرهم .

وإعتمد الإنكليز على ساطع في تنفيذ مخططهم ، وأعتبروه كعراب قومي في العراق وتأجيج الطائفية ، وإضطهاد أربعة أخماس عرب العراق ، وحرمانهم حقوق المواطنة في بلادهم . [٣]

١- وليم كليفلاند ، الحصري من المفكرة العثمانية إلى العروبة ، ص٧١ .

٢- حسن العلوي ، الشيعة والدولة القومية في العراق ، مطبوعات CEDL ، فرنسا ، ١٩٨٩م ، ص٢٥٤ - ٢٥٥ .

٣- حسن العلوي ، مصدر سابق ، ص ٢٥٧ .

مناصب تربوية تولاها ساطع الحصري في بغداد طيلة عشرين عاماً :

١- معاون وزير المعارف .

٢- مدير المعارف العام .

٣- أستاذ علم التربية في دار المعلمين العالية في بغداد .

٤- مراقب التعليم العام .

٥- عميد كلية الحقوق .

٦- مدير الآثار القديمة .

٧- مراقب التربية والتدريس العام .

٨- مدير الآثار العامة حتى عام ١٩٤٠ .

١- د . صالح زهر الدين ، موسوعة رجالات من بلاد العرب ، المركز العربي للأبحاث والتوثيق ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ص٢٢١ .

مؤلفات الحصري وآثاره المطبوعة :-

أصدر لحوليات الثقافة العربية في ستة مجلدات وأصدر كتبه التي ترد على دعاة الإقليمية والنعرات الطائفية وتدافع عن القومية العربية وإتسعت مؤلفاته التي تتناول الدعوة إلى فكرة (القومية العربية) إلى أكثر من عشرين مؤلفاته من أهمها :

١- تقرير لجنة مونثرو عن معارف العراق .
٢- الإحصاء : محاضرات عن علم الإحصاء .
٣- تقارير عن إصلاح المعارف السورية .
٤- أصول التدريس .
٥- المذكرات .
٦- حول القومية العربية .
٧- آراء وأحاديث في القومية العربية ١٩٤٤م .
٨- آراء وأحاديث في الوطنية القومية ١٩٥١م .
٩- دفاع عن العروبة .
١٠- يوم ميسلون .
١١- دراسات في مقدمة إبن خلدون (في جزئين) .
١٢- البلاد العربية والدولة العثمانية .
١٣- العروبة أولاً .
١٤- أراء وأحاديث في التاريخ والإجتماع .
١٥- صفحات من الماضي القريب .
١٦- آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة .
١٧- أبحاث مختارة في القومية العربية .
١٨- هوية الثقافة العربية .
١٩- محاضرات نشوء الفكرة القومية .
٢٠- آراء وأحاديث في التربية والتعليم .
٢١- العروبة بين دعاتها ومعارضها .

١- عبد الوهاب الكيالي (موسوعة السياسة المؤسسة) ، العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ج٣ ، ص٨١-٨٢ .

الحصري في العراق :-

بعد عودة فيصل إلى العراق وتنصيبه ملكاً في آب ١٩٢١م ، قام بإستدعاء طاقم الضباط العراقيين الذين كانوا معه في سوريا ، كما دعا ساطع الحصري ليصبح مديراً للتربية ، وكان له علاقات وطيدة برموز الإدارة البريطانية في العراق ، أمثال (كورنواليس وغاربيت والمس بيل) التي قالت له : (إن الجرائد البريطانية والتابعة للإنكليز أخذت تكتب عنك قبل وصولك للعراق وأنا كلما كنت أقرأ بالجرائد ساطع بك ، كنت أشتاق إلى اللقاء بك) ، وكانت علاقته جيدة مع الإدارة البريطانية في العراق ، وتعاون معها ومع رموزها وعمل في خدمة الإنكليز طوال فترة حكم الملك فيصل وكذلك عهد الملك غازي وسنتين من وصاية الأمير عبد الله ، وكان يشيد بالملك فيصل وإنجازاته الجليلة رغم عقده معاهدة مذلة مع بريطانيا . [١]

١- حسن العلوي ، الشيعة والدولة القومية في العراق ، ط٢ ، لندن ، ١٩٩٠م .

دور ساطع الحصري في نظام التربية والتعليم في العراق :-

تولى الملك فيصل مسؤولية حكم العراق في ٢١/آب/١٩٢١م كملك مقيد بالدستور ، وكان الوضع التربوي هشاً كما هو حال المنطقة العربية بأكملها ، قام بإستدعاء ساطع الحصري بشكل شخصي للعمل في سلك المعارف في العراق لما لهُ من باع طويل في مجال التعليم في إسطنبول وأستلم مهامه كمعاون لوزير المعارف في شباط ١٩٢١م ، وضل يعمل في سلك التعليم متنقلاً من وظيفة إلى أخرى .

عين الحصري مديراً للمعارف بالإضافة لكونهُ مستشاراً للملك ، ومن الأحداث اللاحقة تبين أن كلمته فوق كلمة الوزير ، بل وحتى فوق كلمة الملك في بعض الأحيان لأنه كان مدعوماً من قبل الإنكليز ، حيث أنيطت به وبإيعاز من الإنكليز مهمة نشر الطائفية ومعاداة الشيعة ، والطعن في عروبتهم ووصفهم بالعجمة والشعوبية .[١]

كان للحصري دور بالغ في وضع المناهج الدراسية ، وتوجيه طلاب المدارس وجهة تفضي إلى إغتراب العراقيين عن تراثهم الأدبي ، ففي كتب الأدب العربي وتاريخه لم يذكر أي أديب أو شاعر عراقي من أصول شيعية قديم أو معاصر رغم كثرتهم وتأثيرهم ودورهم الكبير في خدمة الأدب العربي من أمثال الكميت بن زيد الأسدي ، والمتنبي ، والمعري ، والمعاصرين منهم ، محمد رضا الشبيبي ، ومهدي المخزومي ، وباقر الشبيبي ، والشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري ، والفقيه والشاعر الكبير محمد سعيد الحبوبي وأستمرت الحالة هذه طوال العهد الملكي بينما ركز على الشعراء والأدباء العرب من سوريا ومصر وغيرهما من دون العراقيين .

١- حسن العلوي ، الشيعة والدولة القومية في العراق ، ط٢ ، لندن ، ١٩٩٠م .

والجدير بالذكر أن الحصري هو الذي أدخل في المدارس عقوبة الجلد والطرد ضد تلامذته العقوبة المذلة التي أثبت علم النفس آثارها السيئة على الشخصية ودفع التلميذ لممارسة العنف ضد الآخرين .[1]

١- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ط٢ ، ج٣ ، ص٢٢٠ .

في تاريخ الحصري العديد من الإصلاحات التربوية البارزة التي إضطلع بها دعوة وتخطيطاً وتنفيذاً وإشراقاً من أهمها في تركيا تغيير مناهجها وخططها التعليمية ، إيفاد بعثات طلابية عثمانية إلى معهد جان جاك روسو في جنيف لتعلم أحدث أساليب التربية والتعليم ، إدخال علم النفس لأول مرة إلى دور المعلمين التركية بغية إعداد المعلمين للعملية التربوية ، إصدار مجلة تربوية ، تأسيس مدارس حديثة وتأليف عدد من الكتب التعليمية باللغة التركية.[١]

أما بخصوص إصلاحاته التربوية في العراق ، تطهير مناهج التربية من رواسب الثقافة الإنكليزية ، إحياء الروح العربية وبث الفكرة القومية في نفوس الناشئة ، وتشجيع البعثات الأثرية وإنشاء المتاحف ونشر الدراسات المتعلقة بالآثار العربية ، إصلاح نظام التعليم الإبتدائي ، الإهتمام بمناهج الجغرافية والتاريخ ، إنشاء مدرسة عربية إلى جانب كل مدرسة أجنبية وتيسير الدخول إليها ، السعي لإستقدام الكفاءات من خارج العراق ، تدريس الأناشيد الوطنية والقومية .[٢]

١- آراء وأحاديث في التاريخ والإجتماع ، ساطع الحصري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥م .

٢- الدكتور ليث الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز ، ١٩٥٨م ، ص ٤٠٤ .

موقف الحصري من المدارس الجعفرية :-

في المرحلة الثالثة والأخيرة من حياته ، وبعد أكثر من عشرين عاماً على مغادرته العراق ، حاول أن يظهر نفسه مدافعاً عن حقوق الطوائف الأخرى ، وكذلك دافع عن نفسه في مواقفه المتشنجة ضد العراقيين حين كان مديراً عاماً للمعارف ، وفي هذا الخصوص تدافع الباحثة الروسية تيخونوفا وتستشهد بأقواله من مذكراته في العراق فتقول : (فقد إصطدم في منصبه كمدير عام للمعارف العراقية بإحدى المشكلات السياسية الداخلية ، وكانت من بين الدوافع الرئيسية لإستقالته إفتراءات الإقليميين الذين راحوا يتهمونه بإحتقار العراقيين وبخدمة الدخلاء ، وتهجمات بعض الجماعات الشيعية ، التي وصمته بمعاداة الجعفرية ، وذلك بسبب إجراءاته للحد من تأثير المدارس الإيرانية ، وهنا العذر أقبح من الفعل ، إذ يعتبر الحصري المدارس الجعفرية في العراق التي أسستها أسرة (أبو التمن) البغدادية المعروفة ، مدارس إيرانية ، ألا يعتبر هذا السلوك طائفياً) ؟ [1]

١- حسن العلوي ، التأثيرات التركية ، ص١٢ ، دار الزوراء ، لندن ، ١٩٨٨م ، نقلاً عن مذكرات الهاشمي ، ج٢ ، ص٢٤٤ .

ساطع الحصري ومدرسة الموسيقى في العراق :-

قلة من الناس تعرف بأن الأستاذ ساطع الحصري العربي هو المفكر المعروف والذي عمل مديراً عاماً للمعارف – التربية في العراق بعد تشكيل الدولة العراقية الحديثة كان أول من فكر في تأسيس ما سمي في حينه (معهد الموسيقى العراقي) وقد تأسس المعهد أواخر كانون الثاني – يناير سنة ١٩٣٦م وقد أشغل المعهد جناحاً خاصاً في نادي المعلمين وكان الأستاذ الحصري في تلك السنة يعمل مديراً عاماً للتدريس في وزارة المعارف – التربية وقد إستقدم لهذا المعهد فريقاً إختصاصياً من كبار الفنانين وأسندت وزارة المعارف إلى الأستاذ حنا بطرس إدارة المعهد .

ومما أنجز آنذاك تشكيل فرقة موسيقية كاملة العدة قوامها طلاب دار المعلمين ليقوموا بدورهم عند تخرجهم من المدرسة بتدريب الموسيقى في مراكز الألوية العراقية . وقد بدأت التدريبات الموسيقية في أوائل نيسان في تلك السنة ومما ذكره الدليل الرسمي العراقي لسنة ١٩٣٦م في إدارة المعهد عملت على تأليف فرقة موسيقية على غرار فرقة الجيش الموسيقية وكان معلمي النشيد يدعون للإجتماع مرتين إسبوعياً لتوحيد الأناشيد المدرسية وتنظيمها وتعميم أحدث الأناشيد وتأليفها على حساب الدولة الشرقية أو ما سمي في حينه (المدرج الميلودي) وقد تطورت فكرة المعهد فيما بعد ونجم عنها فتح مدرسة بغداد للموسيقى والباليه سنة ١٩٦٩م وأستقدم لها مدرسون من مسرح البولشوي الروسي وكان للأستاذ مدير بشير وأخيه فكري وزوجة فكري السيدة أكسس بشير والتي هي عراقية من أصل روسي دور في تأسيس هذه المدرسة وتطويرها وتولت إدارتها فيما بعد ولمدة أكثر من ٢٠ سنة السيدة ناجحة نايف حمادي . [١]

١- الدكتور إبراهيم العلاف ، مدونة الدكتور إبراهيم العلاف ، ص٥٤ .

مميزات كتابات الحصري :-

من اللافت للأمر أن كتابات الحصري خلت من ذكر آية قرآنية واحدة ، أو حديث للرسول (ص) ، أو أحد الخلفاء ، أو بيت للشعر العربي ، ولم يتحدث في مذكراته عن ذكر نخلة أو نهر أو سجية من سجايا هذا الشعب الذي إحتضنه عشرون عاماً ، لكنه تحدث كثيراً عن العجم بالعداوات والمؤامرات ضده ، ويعود ذلك إلى مواجهاته الطائفية في العراق مع الشيعة . [١]

تلامذة الحصري :-

ترك ساطع الحصري جروحاً عميقة في الشعب العراقي ، وتراثاً لا يختفي أثره بمجرد رحيله عن العراق أو إلى العالم الأخر ، إذ خلف تلامذة أوفياء ساروا على نفس المنهج بكل إخلاص ، وما يجري الآن من حرب إبادة للشعب العراقي من قبل فلول البعث وغيرهم إلا نتاج الماضي وجهود كل هؤلاء ، ومنهم السيد (خير الدين حسيب) (رئيس مركز دراسات الوحدة والعربية) الذي قال عنه حسن العلوي : (يعتبر الوريث الشرعي لساطع الحصري في الطائفية وتبني مشروع بريطانيا في التشهير بالشيعة وطعن أحوالهم العربية في العراق بطريقة إستفزازية التي وردت في مذكرات الحصري وعلى لسان غلاة الطائفيين بطعن في أحد منشوراته بمذهب الأغلبية العربية العراقية فقد جاء في الصفحة ٢١٦ من التقرير الذي يحمل إسم (مستقبل الأمة العربية) إن المذهب الشيعي إمتزج بالقومية الفارسية) . [٢]

١- حسن العلوي ، الشيعة والدولة القومية في العراق ، ط٢ ، ١٩٩٠م ، ص ٢٨٨ .